مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (41) العدد (2)2019
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (41) No. (2) 2019

القيمةُ التّوثيقيّةُ للشّعرِ الأندلسيِّ وأبعادُها /عصر ملوك الطوائف/

الدكتور سلمان حطّاب*
الدكتور نبيل سليمان**
ياسر أحمد صيرفي***

(تاريخ الإيداع 7 / 3 / 2019. قبل للنشر في 7 / 4 / 2019)

□ ملخّص □

كان الشعر ومازال المعبّر عن كيان الإنسان ومشاعره، وفضلاً عن ذلك فقد حمل في الوقت نفسه سمة الوثيقة التاريخية التي أرّخت لكثيرٍ من الأشياء التي عجز عنها التاريخ نفسه، وقد أظهر البحث تلك القيمة التوثيقية التي ظهرت في أكثر من ناحية: /كالناحية التاريخية والأدبيّة والعمرانية والاجتماعية والصناعية/؛ فقد أشار إلى السياسات في مرحلة عصر ملوك الطوائف، وبيّن ازدهار الحركة الأدبيّة، والمستوى العمراني الكبير الذي وصلوا إليه، فضلاً عن تلخيصه للحياة الاجتماعية والعادات، وتركيزه على ما وصلت إليه الصناعات بصورة وثائقية نقلت الوقائع كما هي بصورتها الحية على الرغم من مرور الزمن عليها بنبرة تحمل سمة التأريخ حيناً وتغوص في أعماق النفس لتعبر عما في داخلها حيناً آخر.

الكلمات المفتاحيّة: القيمة، التوثيقية، الشعر، الأندلسي، عصر، الطوائف.

* أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين، اللاذقيَّة، سورية.
** مدرّس – قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين، اللاذقيَّة، سورية.
*** طالب دكتوراه– قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين، اللاذقيَّة، سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (41) العدد (2)2019
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (41) No. (2) 2019

Poetic purposes in the potry of Andalosian women until Almohad era.

Dr. Slman Hattaab*
Dr. Nabil Sliman**
Yaser Ahmad Syrafi***

(Received 7 / 3 / 2019. Accepted 7 / 4 / 2019)

□ ABSTRACT □

Poetry was and still is the expression of the human being and its feelings. Moreover, it carried at the same time the feature of the historical document which was dated to many of the things that history itself failed to do. The research showed that the documentary value that appeared in more than one aspect: Such as the historical, literary, urban, social and industrial aspects. He referred to the politics of the era of the kings of the sects, the flourishing of the literary movement, and the great level of urbanism they reached, as well as its summary of social life and customs, and its focus on what the industries reached in documentary form. As it is in its living form, despite the passage of time on it in a manner that carries the attribute of history and dives in the depths of the soul to express what is inside it another time.

Key words: documentary – value – potry –Andalusian – era – denomination**.**

* **Associate Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Tishreen University, Lattakia, Syria.**
** **Assistant Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Tishreen University, Lattakia, Syria.**
*** **Postgraduate Student, master student Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدّمة:

لا شكَّ في أنّ الشعرَ كانَ وسيبقى تلك القيمة الوثائقية التي تعبّر عن كيان الإنسان وهو يسعى جاهداً إلى إظهار القيمة الجمالية للأشياء، على خلاف التاريخ الذي ينظر إلى الأمور من منظار القيمة الوثائقية فقط، فالشاعر والمؤرّخ ينطلقان من نقطة انطلاقٍ احدة هي الحدث، الذي يقفون أمامه ويصورونه، لكنّ طريقة التعامل تختلف بينهما؛ فالمؤرخ يتعامل مع الحدث بشكلٍ مباشر بعيداً عن الميول العاطفيّة والدينيّة والعرقيّة؛ لأنّه يؤرّخ لحدث، في حين نجد الشاعر يطلق العَنان لنفسه فيصوّر الأشياء من عدستِها، فيختلف تصويره للأشياء تبعاً لاختلاف مشاعره وإحساساته.

وتختلف أدوات كلّ من الشاعر والمؤرّخ في رصدهما للحدث والأشياء، فالمؤرّخ أداته العقل ويسعى إلى التعليل والتفسير، ثمّ يصل إلى النتائج تحت عنوان الخطوط العريضة والنظرة الشموليّة، في حين يعتمد الشاعر على أدوات القلب والوجدان ويتعمّق في الجزئيات فيعكس ما في داخله من أبعادٍ نفسيّةٍ واجتماعيّة، وهو وإن اختلف مع المؤرّخ في أدواته بأنّه يكمّل عمله، فربّما سجّل أشياء في أشعاره غفل عنها المؤرّخ فيكون بذلك أغنى الوثائق التاريخيّة بأشياءَ لم تكن ذُكرتْ فيها([1]).

وهنا لابدّ من التأكيد أنّه لا يمكن الاستغناء عن أيٍّ من الشعر والتاريخ في التوثيق؛ لأنّ الأول يعطي الحدثَ دقّةً وموضوعيّةً في حين يعكس الآخر أثر ذلك الحدث في النفس، وهذا ما يجعل العلاقة وطيدة بين الشاعر والمؤرّخ فلا غنى لأحدهما عن الآخر.

أهميّة البحث وأهدافه:

-تسليط الضوء على حياة عصر ملوك الطوائف وما رافقها من مظاهر ترف وغِنى.

-إظهار قيمة الشعر في نقل الحياة السياسيّة وما رافقها من أحداثٍ في ذلك العصر.

-بيان أهمية الشعر في التوثيق للحياة العمرانية في عصر ملوك الطوائف وما رافقها من بذخ في البناء وتفنن في النحت.

-نقل الحياة الاجتماعيّة في عصر ملوك الطوائف وما رافقها من عادات سادت قصور الملوك عبّرت عن المجتمع في ذلك العصر أصدق تعبير.

-الإشارة إلى تطوّر الحياة الصناعية نتيجة للغنى الفاحش والاهتمام بصناعة أثاث القصور لإرضاء الحكام وللتمايز بينهم.

-التأكيد أنّ الشعر وثيقة حملت أبعاداً كثيرةً جعلته رديفاً قويّاً للتاريخ ومكمّلاً لما غاب عنه في بعض الأحيان.

[1] - يُنظر: صدى سقوط غرناطة في الشعر الأندلسي، جمعة شيخة، ع7.

منهجية البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على قراءة النصوص والوصول إلى ما فيها من معلومات تاريخية أو معمارية جعلتها وثيقةً مهمةً إلى جانب التاريخ.

أبعاد القيمة الوثائقية للشعر الأندلسي (عصر ملوك الطوائف):

كان الشعر مرآة للحياة الإنسانية في عصر ملوك الطوائف ولا سيّما تلك الأشعار التي قيلت في كنَف الحكام داخل القصور فقد عبّرت أصدق تعبير عن حياتهم وما رافها من مظاهر وأبعاد كان لها عظيم الأثر في التوثيق لتلك المرحلة، ولعلّ أهم أبعاد القيمة الوثائقية:

1- البعد التاريخي:

إنّ الشعر يخرج عن وصفه فنّاً خالصاً إلى أن يصبح وثيقةً تاريخيّةً حقيقيّةً على الرغم من اختلاف طريقة التعامل بين المؤرّخ والشاعر، فالمؤرخ يكتب بعقل في حين أداة الشاعر القلب، وقد ظهر البعد التاريخي للشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف من خلال كثير من الأشعار والمواقف، وكان منها تلك الرسالة التي أنشأها أبو جعفر بن أحمد الداني الذي أخذ يتردّد على ملوك الطوائف ونال عندهم مكانةً مرموقةً، فقد كتب على لسان /قصر المبارك/ الذي انتقلت إليه أمور الرياسة بعد أن كانت في /قصر المُكرّم/ زمن المعتمد بن عبّاد فقال فيها([1]): /البسيط/

في كلّ شارقٍ الزُّوّارُ تكنُفُنِي ... وبعدَ حَوْلٍ يُزأرُ الركنُ والحَجَرُ

لو أنّ إيوانَ كسرى كانَ عاصرَنِي ... لكان لي دونَه غِرٌّ ومُفتَخَرٌ

بساحتي تُعقَدُ الراياتُ يتبعُها ... جيشٌ يسايرُهُ أو يُقدِمُ الظفرُ

بسعْدِ مُحتسبٍ في اللهِ مُعتمدٍ ... عليه أفعالُه في دهرِ غُرَرُ

استطاع الشاعر من خلال أبياته أن يؤرّخ لزمن المعتمد بن عباد وإدارته السياسيّة حيث قصر المبارك الذي كانت تُستقبَل فيه الوفود وتنطلق منه الجيوش للغزو فالأبيات هنا وثيقة تاريخيّة شاهدة على القدرة السياسيّة للدولة العبّاديّة.

وبينما نرى أبا جعفر أحمد الداني يؤرخ من خلال الشعر استقبال /قصر المبارك/ للمعتمد فإنّنا نجد في المقابل الشاعر أحمد بن حمديس الصقلي يؤرخ بشعره لحادثة نفيِ المعتمد وقد شهدت قصورُه نفيَه عندما مرَّ أمامها فبدت خاويةً لا حياة فيها بعد أن تركها فقال([2]): /الطويل/

أمرُّ بأبواب القصور وأغتدي ... لِمَن بانَ عنها في الضمير مُناجيا

وأدعو بنيها سيّداً بعدَ سيّدٍ ... وَمِنْ بعدهم أصبحتُ همّاً مُواليا

كما سجّل الشعر الأندلسي ما حصل بين حكّام عصر الطوائف من رغبة في التوسّع وما جرّته تلك الرغبة من حروب على حساب الممالك الأخرى، ومن تلك الحروب التي أرّخ لها الشعر استيلاء المعتمد بن عبّاد على قرطبة بعد

[1] : الذخيرة، ابن بسام، مج3/ ف6/ص571.

[2] : ديوان ابن حمديس، ص532، 433.

أن انتزعها من بني جهور وأنهى حكمَهم([1]) وقد أملَ المعتمد بعد هذا الاستيلاء أن يوحد الأندلس عربية إسلامية تحت الراية العباديّة في ظل دولة بني عبّاد فقال([2]): /البسيط/

مَن للملوكِ بشأنِ الأصْيدِ البطلِ هيهاتَ جاءتكم مَهديّةُ الدّولِ
خطبتُ قرطبةَ الحسناءَ إذْ منعَتْ مَنْ جاءَ يخطبها بالبيضِ والأسَلِ
وكم غدتْ عاطلاً حتى عرضْتُ لها فأصبحتُ في سُرى الحُليِّ والحُلَلِ
عِرسُ الملوكِ لنا في قصرها عُرُسٌ كلُّ الملوكِ به في مَأتمِ الوَجَلِ
فراقبوا عن قريبٍ لا أبا لكمُ هجومَ ليثٍ بدرعِ البأسِ مُشتمِلِ

من خلال هذه الأبيات تظهر بطاقةٌ تاريخيّةٌ تشير إلى انتصار ملكٍ وتميّزه من غيره من الملوك الفاتحين فقد استقبلته قرطبة وتزيّنت له كزينة العروس لزوجها في حين كانت قبله تعيش في مَأتمٍ في ظلّ مَنْ سبقه.

لقد كانت النصوص الشعرية في كثيرٍ من الأحيان تاريخاً لسياسة الملوك المُعتمَدة في ذلك العصر أثناء حكمهم، فهي المنبر الذي سجل الشعراء من خلاله بعض الأحداث السياسيّة المُشينة التي سلكها حكّام عصر ملوك الطوائف، وهذا ما ظهر على لسان السُّميسِر الذي هجا ملك غرناطة عبدالله بن بلقين بسبب مصانعته للنصراني أذفونش فقال([3]): /مخلع البسيط/

صاحب غرناطةَ سفيهٌ وأعلمُ الناس بالأمورِ
صانعَ أذفُنش والنصارى فانظر إلى رأيه الدبيرِ
وشادَ بنيانه خلافاً لطاعةِ اللهِ والأميرِ

يظهر من خلال هذه الأبيات مدى ضعف تلك المرحلة التاريخية من عصر ملوك الطوائف الذين دفعهم الخوف من النصارى إلى تقريبهم ومصانعتهم فعقدوا معهم المعاهدات المشينة ودفعوا لهم الجزية صاغرين مقابل الاحتفاظ بأملاكهم بعيداً عن الهجوم النصراني عليهم.

وكانت بعض الأشعار قد حملت صبغة الشكوى من الزمان وظلمه بعد اضطراب الحياة السياسية في عصر ملوك الطوائف فنجد المعتمد بن عباد يؤرّخ نفيَه عن ملكه وبعده عن قصوره التي شهدت إنجازاته السياسية فقد ذكر قصره /الزاهي/ الذي اعتاد أن يلتقي فيه بالزوار فقال([4]): /الطويل/

تؤمّل للنفس الشجيّةِ فرحةً وتأبى الخُطوبُ السودُ إلّا تماديا
لياليكَ في زاهيكّ أصفى صحبْتَها كذا صبْتَ قبلي الملوكُ الليالیا
نعيمٌ وبؤسٌ ذا لذلك ناسخٌ وبعدّهما نسْخُ المنايا الأمانيا

فالأبيات تعرض تأريخاً لحالات الأنس التي كان يقضيها في قصر /الزاهي/ وما حملته تلك اللحظات من سرور ونعيم وشقاء، لكنّ المنايا تغلّبت على كلّ ما تمنّاه.

[1] - ينظر: البيان المغرب، ابن عذارى، ج3، ص259.
[2] – ديوان المعتمد، ص105، 106.
[3] – مذكرات الأمير عبدالله، ابن بلقين، ص207.
[4] - ديوان المعتمد، ص184.

ومن جهةٍ أخرى نرى الشاعر ابن اللبانة يسلّط الضوء على سياسة المعتمد التي يتبعها أمام الرعية والقاصدين، فالقصر يعكس لكل مَن سيقرأ عن ذلك الزمن سياسة المعتمد الرحيمة التي كان يتبعها، فهو يلبي مطالب الرعية ويكرم القاصدين، لكنّ الحال لم تدم والزمن تغيّر، فقد أضحى قصره السجن الذي يسكنه بعد زوال ملكه فيقول([1]): /البسيط/

يا بيتُ أقفرَ بيتُ المكرمات فخذْ ... في ضمِّ رحلكَ واجمعْ فَضلةَ الزادِ
كانوا مُلوكاً مُلوكَ الأرضِ فانْصرفوا ... وما لهم حرمةٌ فيها ولا نادِ
تبدّلوا السجنَ بعدَ القصرِ منزلةً ... وأُخدِقُوا بلصوصٍ عَوْضَ أجنادِ

وكان للشعر في عصر ملوك الطوائف في كثيرٍ من الأحيان دورٌ في عرضِ الأحداث السياسيّة وما اصاب المجتمع الأندلسي من محن ومصائب جعلت الحياة السياسية على صفيح من الاضطراب، وهذا ما دفع أولئك الشعراء للشكوى من ظلم الزمن وتقلّب الأحوال السياسية، وهذا ما ظهر على لسان المعتمد بن عباد الذي أشار إلى المحنة التي ألمت به فقال([2]): /الطويل/

غريبٌ بأرض المُغرّبين أسيرُ ... سيبكي عليه مِنبرٌ وسريرُ
وتندبُه البيضُ الصوارمُ والقنا ... وينهلّ دمعٌ بينهنَّ غريرُ
سيبكيه في زاهيه والزاهر الندى ... وَطُلابُهُ والعُرفُ ثمّ نكيرُ
إذا قِيل في أغماتَ قد ماتَ جودُهُ ... فما يرتجي للجودِ بعدُ نُشورُ
مضى زمنٌ والملكُ مستأنسٌ بهِ ... وأصبح منه اليومَ وهو نفورُ
برأيٍ من الدهرِ المُضلِّلِ فاسدٍ ... متى صلحت للصالحين دُهورُ؟!

ومن الذين ذكروا /قصر الزاهي/ الذي كان يقطنه المعتمدُ الشاعر أبو بكر الخولاني الباجي الذي اعتاد المعتمد أن يلقاه في قصره فقال([3]): /الطويل/

وما أبعدتْنا عن مزاركَ غَدْرةٌ ... نُضافُ بها للدائمين على الغدْرِ
إذا ما استرحنا بالتمنّي فإنّهُ ... تفاؤلُ في الزاهي وساحاته الخضرِ
ولا بأسَ أن يُدني الإلهُ مزارَنا ... ويجمعُنا من حيثُ ندري ولا ندري

وقد تجاوز الشعر مجرّدَ كونِه بطاقةُ توثيقيةً تؤرّخ لكثيرٍ من الأحداث السياسية إلى حفظٍ لأسماء القصور التي كان قد ذاعَ صيتُها زمن ملوك الطوائف، فكان كلّما ذكر شاعرٌ اسم قصرٍ جعله وثيقةً تاريخيّةً يستدلّ من خلالها على زمن الملكِ ومدى عظمته، فها هو المقتدر بن هود صاحب سرقسطة يؤرخ لاسم /قصر السرور/ الذي تأنّق ببنائه وذكره في كثيرٍ من مجالسه فقال([4]): /الكامل/

---

[1] – **ديوان ابن اللبانة، ص139، 140.**

[2] – **ديوان المعتمد، ص171.**

[3] – **الخريدة، الاصفهاني، ح2، ص675.**

[4] – **صبح الأعشى، القلقشندي، ج5، ص224.**

قصرُ السرورِ ومجلس الذهب بكما بلغتُ نهايةَ الأرب
لو لم يَحُزْ مُلكي خلافكما كانتْ لديَّ كفايةُ الطلبْ

فالبيتان يؤرخان لحياة الترف التي كان قد عاشها ملوك الطوائف، فالقصر امتلأ بالتحف الذهبيّة وكان فيه مجلس الذهب أو ما سُمّي /البهو الذهبيّ/ الذي زُيّنت جدرانه بالنقوش الذهبية([1]).

ومن القصور التي حفظها الشعر في عصر ملوك الطوائف تلك التي ظهرت في أبيات ابن زيدون فقد قال([2]): /الطويل/

أأنسى زماناً بالعُقابِ مُغفّلاً وعيشاً بأكنافِ الرصافةِ دَغْفلا
ومَغنًى إزاءَ الجعفرية أقبلَا لَنعمَ مَرادُ النفسِ روضاً وجدولا
ونعمَ مَحلُّ الصبوةِ المُتبوّأُ

وأحسنْ بأيّامٍ خَلَونَ صَوَالِحٍ بِمَصنَعَةِ الدّولابِ أو قصرِ ناصحِ
تهزُّ الصَّبا أثناءَ تلك الاباطحِ صفيحةَ سَلْسالِ المَوارِدِ سائحِ
ترى الشمسَ تجلو نصلَها حينَ يصدأُ

فهنا يؤرّخ الشاعر ابن زيدون لأسماء القصور التي عاصرها وهي /قصر الرصافة وقصر الجعفريّة وقصر ناصح/ وبهذا يكون الشعر قد حملّ دوراً كبيراً في التوثيق من الناحية التاريخيّة سواءٌ كان المؤرَّخ حدثاً سياسيّاً أو اسماً لحاكمٍ أم قصر.

2- البعد التاريخي:

لم يقف الشعر عند وصفه وثيقةً تاريخيّةً أرّخت لكثيرٍ من الأحداث والأسماء والأماكن بل تجاوز ذلك إلى كونه قد خرج من تحت عباءة التاريخ ليدخل تحت عباءة التاريخ والأدب معاً، ففي الوقت الذي كان فيه الشعر يذكر أحداثاً تاريخيّةً ومناظراتٍ شعريةً حدثت في زمن ملكٍ من الملوك أو في مجلس من المجالس يكون في الوقت ذاته يؤرخ وثيقةً أدبيّةً توضّح الحالة الادبية التي وصل إليها عصر الطوائف، فقد كانت تُعقَد مجالس الأدب في القصور ويتمّ من خلالها قرض الشعر وتذوّقه ونقده، وإن كانت تلك المجالس قد حملت صبغة مجلس اللهو والأنس والتندّر في أغلب الأحيان لكنّ الغاية منها إدخال السرور إلى أنفُس الحكّام الذين كان لهم باعٌ في الشعر ولا سيّما الأسر التي اشتُهرت بقرض الشعر وتذوّقه كأسرة بني عبّاد بإشبيلية، وأسرة المعتصم بن صمادح في المريةَ، فقد كانوا أسراً حاكمةً في الدرجة الأولى وأجادوا نظم الشعر وعُرِفوا به([3]).

ومن المجالس الأدبية التي اشتُهرت في عصر ملوك الطوائف مجلس المعتضد بن عباد المُسمّ /دار الشعر/ الذي كان يجتمع فيه بالشعراء كلّ إثنين وفي ذلك اليوم لا يدخل عليه إلا الشعراء يسمع لهم وينتقدهم، ثمّ يولي رئاسة المجلس إلى أقدرهم على قرض الشعر الجيد والرصين([4]).

---

[1] - ينظر: دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبدالله عنان، ص283.
[2] – ديوان ابن زيدون، ص46، 47.
[3] - ينظر: البينة الأندلسية وأثرها في الشعر، سعد إسماعيل شلبي، ص233- 235.
[4] - ينظر: نفح الطيب، المقري، ج4، ص244.

وقد ترك لنا ابن جاح البطليوسي وثيقةً أدبيّةً عن عصر ملوك الطوائف عندما أشار إلى تحايله على شعراء /دار الشعراء/ ليدخل معهم، فنظم شعراً مُضحكاً فأدخلوه الدار وقدّموه عليهم، فنظم قصيدةً مدح فيها المعتضد وأظهر قدرته على نظم الشعر شكلاً ومضموناً فقال([1]): /الكامل/

يا أيّها الملكُ المُؤمّل والذي ... قُدُماً سما شرفاً على الأندادِ
إنّ القريضَ لَكَاسدٌ في أرضِنا ... وله هنا سَوقٌ بغيرِ كَسادِ
فجلبْتُ من شعري إليك قوافياً ... يفنى الزمانُ وذِكرُها مُتمادي
من شاعرٍ لم يصطنع أدباً ولا ... خطّتْ يداهُ صحيفةً بمِدادِ

وعندما انتهى تولّى رئاسة /دار الشعراء/ لِما ناله عند المعتضد من مكانة وإعجاب، وهذا ما جعل الشعراء يغتاظون منه فاتّهموه بالانتحال، فطلب منه المعتضد أن يصف بعض الموجودات في المجلس وكان قد أمسك المعتضد سكيناً أحد جانبيها مزين بغزال والآخر بأسد، فقال مرتجلاً([2]): /مجزوء الرمل/

أنا إن كنتُ غزالاً ... وغدا ليَ الليثُ جارا
فبِعينَيَّ احْوِرارٌ ... يتركُ الأسْدَ حَيارى

من خلال هذه الأبيات يبدو لنا الشعر وثيقةً أدبيّةً تعبّر عن مدى اهتمام المعتضد بالشعر الجيّد بوصفه حاكماً وناقداً وشاعراً يحسنُ سماع الشعر وتذوّقه ويميز بين الجيّد والرديء منه.

وكان للمعتصم بن صمادح مجلس أدبيٌّ يجتمع فيه بأهل الأدب ومن روّاده أبو عبادة بن القزّاز الذي أنشد أبياتاً أمام المعتصم يشيد فيها باهتمامه بالأدب ورعايته له ولاسيّما بعد أن غصّ بلاطه بالشعراء والأدباء فقال([3]): /الكامل/

يا أيّها الملك الذي جازَ العُلا ... مَعْنٌ أبوهُ وخالُه المنصورُ
بِفِناءِ قصركَ عُصبةٌ أدبيّةٌ ... لازالَ وهو بشملِهم معمورُ

تؤكد هذه الأبيات مدى اهتمام المعتصم بالأدب فهي وثيقةٌ أدبيّةٌ أشار إليها ابن خاقان بقوله ((ملكٌ أقام سوق المعارف على ساقها، وأبدع في انتظامها في مجالسها واتسامها وأوضح رسمَها، وأثبت في جبينِ أوانه وَسْمَها ولم تخلُ أيّامه من مُناظرةٍ ولا عُمِرتْ إلا بمذاكرةٍ أو محاضرةٍ))([4]).

كانت الوثائق الأدبية التي نظمها الشعراء في قصور ملوك الطوائف تهدف إلى التسلية والمرح واللهو في كثيرٍ من الأحيان ولا سيّما في مجالس الأنس واللهو، ومنها ما جاء بعد طلب الملك ممّن في مجلسه وصف موجودات

[1] – **المصدر نفسه، ج4، ص244.**
[2] – **لمح السحر، ابن ليون، ص278.**
[3] – **أزهار الرياض، المقري، ج2، ص255.**
[4] – **قلائد العقيان، ابن خاقان، ج1، ص146.**

القصور، فها هو ابن خفاجة يصف صورةً حسنةً رُكبتْ من الريحان على شكل جاريةٍ طُيّبت وقُلّدتْ فقال([1]): /الطويل/

لقد زفَّ بنتاً للخميلةِ طلْقةً يهزُّ إليها الدّستُ أغطافَ مَغرسِ
تنوبُ عن الحسناء والدارُ غُرْبةٌ فما شئْتَ من لهوٍ بها وتأنّسِ
تشير إليها كلُّ راحةِ سوسَنٍ وتشخُص فيها كلّ مُقلةِ نرجسِ
فخصّت بها ريحٌ بَلِيْلٌ وربْوةٌ بِمَسرَى غمامٍ جادَها مُتبجِّسِ
فجاءتْ تروقُ العينَ في ماءِ نُضرةٍ تشنُّ على أعطافِها ثوبَ سندسِ
وتملأ عينَ الشمسِ لألاءَ بهْجةٍ وحُسْنٍ وأنفَ الريحِ طيبَ تنفُّسِ

لقد كان نظم الشعر ارتجالاً في مجالس الأنس والمزج بينه وبين الطبيعة الأندلسيّة الجميلة /كالسوسن والنرجس والشمس/ ظاهرةً أدبيّةً منتشرةً عند كثيرٍ من شعراء عصر الطوائف.

وقد حملت بعض الأشعار في ذلك العصر صبغة الرسائل الشعرية، فكانت وثائق شعرية رسمية تُرسَل إلى الملوك أو الوزراء للبتّ في أمورٍ قد تكون رسميّةً حيناً وغيرها حيناً آخر كحضور مجلس أنسٍ ولهوٍ وغيرها من الأمور، ومن هذه الرسائل رسالة المعتمد الشعرية التي أرسلها إلى ابن سراج أب الحسين وكان معه مجموعة من الوزراء والكتّاب نزلوا بقصر الزهراء يقول فيها([2]): /الخفيف/

حسدَ القصرُ فيكم الزهراء ولعمري وعمركم ما أساءَ
قد طَلَعْتُم بها شُموساً صباحاً فاطْلعوا عندَنا بُدُوراً مَسَاءَ

فهو يدعو على لسان قصره ابنَ سراج ومَن معه ليحضروا الأنس والسحر في قصره /البستان/ وحدث فعلاً أن لبّى هؤلاء دعوة الحاكم وحضروا مجلس /قصر البستان/.

ومن الرسائل الشعرية ما كان يرسله المعتمد لندمائه من الشعراء لعقد مجالس الأنس واللهو في قصره، وقد أرسل مرّةً وهو جالسٌ في قصره إلى وزيره ابن عمار الذي يؤثره على خواصه ويبوح له بسريرته بعد أن رأى المعتمد باكورة نرجس يحملها غلمانه فذكرته هذه الباكورة ابنَ عمّار فراسله قائلاً [3]: /مخلع البسيط/

قد زارَنا النرجسُ الذكيُّ وحان من يومنا العشيِّ
ونحنُ في مجلسٍ أنيقٍ وقد عطشنا وَثَمَّ رِيُّ
ولي خليلٌ غدا سَمِيِّي يا ليته ساعدَ السَّمِيُّ

وقد دفعت هذه الأبيات ابنَ عمّار للحضور في القصر عند المعتمد وكتب إليه رقعةً للردِّ عليه جاء فيها[4]: /مخلع البسيط/

---

[1] – **ديوان ابن خفاجة، ص148.**

[2] – **ديوان المعتمد، ص131.**

[3] – **الحلة السيراء، ابن الأبار، ج2، ص131.**

[4] – **الخريدة، ج2، ص29– 30.**

لبّيكَ لبّيكَ من منادِ — له الندى الرّحبُ والنّديُّ
ها أنا بالبابِ عبدُ قِنٍّ — قِبْلتُه وَجهُك السَّنِّيُّ
شرّفَه والداهُ بِاسْمٍ — شرّفْتَه أنتَ والنبيُّ

ولابن عمار رسالة شعرية كانت وثيقةً أدبيةً نقلت لنا كثيراً من الوقائع من حياة القصور في عصر ملوك الطوائف، فقد أرسل رسالةً للمعتمد في قرطبة بعد أن أقام فيها لتسيير بعض الأمور السلطانية، غير أنّ ذلك جعله يسأم الحياة السياسية فاشتاق إلى القيان والكأس واللهو والأنس مع ابن عباد في قصور إشبيلية فاستثار ابن عمّار في ذلك فكان الآخِرُ أقلَّ صبراً على الملذات فأشار عليه بتعطيل الثغر فقال([1]): /البسيط/

مولاي عندي ما تهوى مُساعدَةً — كما تتابعَ خَطْفُ البارقِ السَّاري
إنْ شئتَ في البحرِ فاركبْ ظهرَ سابحةٍ — أو شئتَ في البرِّ فاركب ظهرَ طيّارِ
حتّى تحَلَّ وحِفظُ اللهِ يكلؤُنا — ساحاتِ قصرِكَ واتركني إلى داري
وقبلَ خَلْعِ نِجادِ السيفِ فاسعَ إلى — ذاتِ الوِشاحِ وخذْ للحبِّ بالثارِ
ضَمَّاً ولَثْماً يغنّي الحُلْيُ بينكُما — كما تجاوبَ أطيارٌ بأسحارِ

وقد حملت المجالس الأدبية في عصر ملوك الطوائف صفة النوادر في بعض الأحيان بعيداً عن اللهو والأُنس فكانت مسرحاً للنوادر التي أُريد بها التقليل من شأن بعض الموجودين فيها، وهذا ما ظهر على لسان الشاعر ابن غُنْد شلب في وزيرٍ كان يُلقّب بـ/تحقون/ فقال[2]: /الرمل/

ضجَّ من تحقونَ بيتُ الذّهبِ — ودعا ممّا به وَاحَرَبي
ربِّ طهّرْني فقد دنّسني — عارُ تحقونَ المُوقَّى الذَّنَبِ

وهنا وثيقة أدبيةٌ تشير إلى غرضٍ من أغراض الشعر التي قيلت في قصور ملوك الطوائف، فقد أُضيف إلى اللهو والأنس والسياسة غرض السخرية والهجاء، وبهذا تكون قصور الملوك مسرحاً مشجّعاً للأدب وقرضِ الشعر على اختلاف أغراضه فكانت هذه النصوص وثيقةً أدبيةً عكست الحياة الأدبية في قصور ملوك الطوائف ووثّقت لها.

3- البعد العمراني:

لاشكّ في أنَّ هناك علاقة وثيقة بين الشعر والعمران بوصفهما فنّاً يقوم على الخيال مع اختلاف الأدوات، فالخيال في الشعر يهيّئ لظهور الفكرة ثمّ يرسمها الشاعر، وكذلك فإنّ الخيال هو المحفّز للمصمم العمراني الذي يحول فكرته فيما بعد إلى بناء محسوس([3]).

وقد استطاعت نماذج من الشعر التي قيلت في عصر ملوك الطوائف توثيق الحركة العمرانية فأصبحت تلك الأشعار مرجعاً لا غنى عنه لِمَن أراد التأريخ لظاهرة العمران في ذلك العصر، ومن الأبيات التي وثّقت لحالة العمران في قصور الحكام ما أورده ابن الحدّاد بقوله([4]): /الكامل/

---

[1] – **الحلة السيراء، ابن الأبار، ج2، ص132– 133.**

[2] – **الذخيرة، ابن بسام، مج3، ب5، ص204.**

[3] **- ينظر: فن الرقوش في الشعر الأندلسي، إيمان الجمل، ص7.**

[4] – **ديوان ابن الحداد، ص269.**

أنتِ الهوى لكنَّ سلوانَ الهوى قصرُ ابنِ معْنٍ والحديثُ شُجونُ

فقد ذكر ابن الحداد في هذا البيت اسم الباني وهنا قيمة توثيقيّةٌ لحالة العمران وأسماء المهندسين المنفذين له.

ثمّ نجد ابن الحداد يشير إلى اعتدال جو القصر الذي يصفه، فقد بيّن أنه لا يأتيه إلا شهرا آذار وتشرين وهما شهرا الاعتدال فقال([1]): /الكامل/

تتعاقب الأعصار فيه وجوُّهُ أبداً به آذارُ أو تَشرينُ

ولعلّ ذلك الجوّ المعتدل سببه ما أحاط بالقصر من حدائق ورياض ومياه على شكل جداول وبِرك ونوافير عملت هذه الأشياء مجتمعةً على تلطيف الجو وإعطائه رائحةً عطرةً منبعها تلك الورود المزروعة.

وها هو المعتصم أيضاً يشير إلى جدولٍ انسابَ الماءُ فيه وهو جالسٌ مع وزرائه بصمادحيته فقال([2]): /البسيط/

انظر إلى حسن هذا الماءِ في صَبَبه كأنّه أرقم قد جدّ في هربِهْ

ثمّ نراه يصف في مشهدٍ آخر تلك البركة الصناعية التي بناها في قصره الواسع حيث ينسابُ الماءُ فيها وتتوسّطها فوّارةٌ مُستديرة الشكل بلونّها الأزرق وكانت قد أحاط بها إطارٌ أسود فقال([3]): /الطويل/

كأنّ انسياب الماءِ في صفحاتها حسامٌ صقيلُ المَتْنِ سُلَّ من الغِمْدِ

تفورُ به فوّارةٌ مُستديرةٌ لها مُقلةٌ زرقاءُ موصولة السُّهدِ

ثمّ يتابع المعتصم بن صمادح في وصف جمال القصر، فبعد أن تناول منه الحدائق والجداول والبركة يتعرّض لوصف بنائه الخارجيّ فيقول([4]): /الكامل/

أو لو بدا للروم مَعْجَزُ صُنْعِهِ أبدى السجودَ إليه قَسطنطينُ

رأسٌ بظهرِ النونِ إلّا أنّه سامٍ فقُبَّتهُ بحيثُ النونُ

في رأسه سبقَ النعامَ سماؤُه من دونِه دمْعُ الغَمامِ هَتُونُ[5]

قصرٌ تَبيَّنَتِ القصورُ قصورَها عنه وفضلُ الأفضلينَ يبينُ

هو جنّةُ الدنيا تبوَّأُ نُزْلُها ملِكٌ تملَّكَه التُّقى والدينُ

وكأنَّ بانيهِ سِنِمّارَ فما يعدوهُ تحسيْنٌ ولا تحصينُ

فالشاعر من خلال هذه الوثيقة الشعريّة يبين حالة العمران وطريقته، فالقصر كان عالياً تعلوه قبّةٌ مُستديرةٌ انخفض ارتفاعها فبدا لعلوّه وكأنّه يناطحُ السُّحُب، ثمّ يشير إلى قوّة البناء ومتانته والإتقان في الصنع وهذا ما جعله

[1] – المصدر نفسه، ص271.

[2] – بدائع البدائه، الأزدي، ص255.

[3] – الخريدة، الأصفهاني، ج2، ص85.

[4] – ديوان ابن الحداد، ص274– 275.

[5] - مطر هتون: هطُول، جمعُه: هُتُن، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: هتَنَ/.

يستحضر شخصية البنّاء المشهور سِنِمّار من الموروث التاريخي ليقارن بين بنائه الذي بناه للنعمان وبين هذا البناء الذي يراه الآن.

ومن الوثائق الأدبيّة التي تركها لنا الشعراء عن عصر ملوك الطوائف وحالة العمران فيها ما قاله المعتصم بن صمادح عندما أشار إلى الزخرفة الهندسيّة المُستخدمة في بناء القصر، فقال([1]): /الكامل/

وكأنّ راسمَ خَطّهِ إقليدسٌ ... فَموائلُ الأشكالِ فيه فنونُ

من دائرٍ ومُكعّبٍ ومُعيّنٍ ... ومُحَجَّنٍ[2] تَقْويسُهُ التَّحْجِيْنُ

فهنالك التضعيفُ والتثليثُ والتـ ... ـتربيعُ والتسديسُ والتثمينُ

نِسَبٌ حلَتْ نِسَبُ الغِناءِ لبعثها ... طَرَبَ النفوسِ وَسَمْعُها تعيينُ

وكأنَّ طَرفَي مسمَعي وكأنّه ... صوتٌ وشكلُ خُطوطِهِ تَلْحينُ

عبّر الشاعر من خلال هذه الأبيات عن تلك النقوش الهندسية بأشكالها المتنوعة وقد زخرفَها الرسامون بطريقةٍ ساحرة تشدّ الأنظار، وكان يتخلّل هذه الأشكال الهندسيّة تربيعاتٌ صغيرةٌ كأنّها عيون الوحش.

ثمّ نجد ابن الحداد ينتقل بعد وصف الرسوم الهندسية إلى تفصيل البناء الداخلي للقصر وذلك بعد أن وقع بصره على قبابه فقال([3]): /الكامل/

عطِفتْ حناياهُ وضُمِّنَ بعضُها ... بعضاً وسِحْرٌ ذلك التضمينُ

كتقاطعِ الأفلاكِ إلّا أنّهُ ... مُتباينان: تحرُّكٌ وسكونُ

فلَكيّةٌ لو أنّها حركيّةٌ ... لاعتدَّ منها الرَّأسُ والتنّينُ

من خلال الوثيقة الأدبية هذه يعرض لنا الشاعر تلاحم القِباب وتركّبها كتقاطع النجومِ وعندما أشار إلى تقاطعها أعطى دليلاً على كثرتها، كما ذكر لنا من خلال الأبيات مادّة الصنع التي تلمع كلمعان النجوم.

ومن الأمور التي وثقها الشعر في عصر ملوك الطوائف تحديد مكان بناء القصر، ومن ذلك قول المعتمد بن عباد الذي حدد مكان تشييد قصوره فقال([4]): /الطويل/

فيا ليت شعري هل أبيتُنَّ ليلةً ... أمامي وخلفي روضةٌ وغديرُ

بِمُنبِتَةِ الزيتونِ مُورِثةِ العُلا ... يُغنّي حَمامٌ أو ترنُّ طيورُ

بزاهِرِها السامي الذُّرى جادَه الحيا ... تشيرُ الثريّا نحْوَنا ونُشيرُ

ويلحظُنا الزاهي وسَعْدُ سعودِهِ ... غَيورَينِ والصبُّ المُحبُّ غَيُورُ

---

[1] – ديوان ابن الحداد، ص272– 273.

[2] - التحجين: اعوجاج الشيء، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: /حجَنَ/.

[3] – ديوان ابن الحداد، ص271.

[4] – ديوان المعتمد، ص172.

هنا يصف المعتمد قصره /الزاهر/ الذي يفضله على جميع قصوره، وقد أشار إلى موقعه الذي يعتبر أفضل المواقع لديه وأبهاها فهو يطلّ على النهر ويشتمل الشجر ويطلّ على /قصر الثريّا/و/قصر الزاهي/، وقبّته/ سعد السعود/.

نلاحظ مما سلف أنّ الشعر كان رديفاً قوياً لكل مَن أسهم في البناء والعمران؛ فالمهندس يخطط والبنّاء يبني والفنّان يزخرف أمّا الشاعر فيصف تلك المباني، ولعلّ كثيراً من القصور قد انتشر ذكرها وصارت أطلالاً إلّا أنَّ الشعر عادَ ودبَّ فيها عِرق الحياة، وبهذا يكون الشعر وثيقةً معماريّةً نقلت لنا واقع العمران والزخرفة في عصر ملوك الطوائف بأدق التفاصيل.

4- البعد الاجتماعي:

كان الشعر ومازال حاملاً الصبغةَ الإنسانية الضاربة في عمق النفس البشرية، فهو يعبّر عن عادات المجتمع وتقاليده فيكوّن بذلك وثيقةً اجتماعيةً تُدرك من خلالها الأبعاد النفسية والاجتماعية التي حلّت بالمجتمع، وقد رصد شعر عصر ملوك الطوائف كثيراً من مظاهر الحياة الاجتماعيّة في القصور ولاسيّما الغنى الفاحش والبذخ في الحياة، فها هو الشاعر ابن وهبون يصف قصر المعتمد المُسمّى بـ/المبارك/ وما فيه من ترف وبذخ بذله صاحبه في تشييده فقال([1]): /الطويل/

يا أيّها القصرُ المباركُ لا تزلْ ... وأنتَ جديدُ الحِلّتَينِ قشيبُ[3]

و يا أيُّها الملكُ المؤيّد دمْ بهِ ... لِيُترَعَ كوبٌ أو يُثارَ عَكُوبُ[4]

أسِمْ فيهِ سَرْحَ[2] اللحظِ من طَرْفِ باسلٍ ... مُرادُ الوغى في ناظريه عَشيبٌ

ستظأرُه أمُّ النجومِ تَحِلَّةً ... لها كوكبٌ لا حانَ منهُ غُروبُ

مُحيطٌ بما أحببتَ من كلّ صورةٍ ... تروقُكَ حتّى شكلُهنَّ قريبُ

ومن حُبُكٍ دونَ السّموكِ كأنّها ... أفاريدُ رَوْضِ الحزنِ وهوَ هصيبُ

إلى طَرَرٍ تحكي أصائلَ مُلكِه ... تكادُ بأنداءِ النّضارِ تَصوبُ

ومن مَرْمَرٍ أخذاه رونقهُ المها ... فأخطأ فيه اللحظُ وهو مُصيبُ

وبحرٍ عليه للرياحينِ فيْئةٌ ... كَيُمناكَ مُخْضرٌّ البُرُوْدِ لَحوبُ[5]

لئنْ كان مكظوماً كغيظِكَ إنّهُ ... كعِرضِكَ مصقولُ الأديمِ خشيبُ

وكلُّ هواءٍ تحتَ ظِلّكَ سَجْسَجٌ ... وكلُّ مكانٍ في ذراكَ خصيبُ

إنّ هذا الوصف الدقيق لقصر المبارك يعكس مدى اهتمام صاحبه بفخامته وزخرفته، ويعكس في آنٍ آخر غنى صاحبه الفاحش وإنفاقه الأموال الطائلة عليه، وهو من جهةٍ أخرى يصور حياة البذخ التي يعيشها المعتمد حاله كحال جميع ملوك الطوائف.

[1] – الذخيرة، ابن بسام، مج2، ب3، ص390.
[2] - سرْح: من كبار الشجر، ينظر: نفسه، مادة: /سرح/.
[3] - قشيب: اليابس الصلب، الجديد، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: /قشَبَ/.
[4] - عكوب: الغبار، ينظر: نفسه، مادة: /عكب/.
[5] - لحوب: واضح، ينظر: نفسه، مادة: /لَحَب/.

ومن الوثائق الاجتماعية التي تركها لنا شعراء عصر الطوائف ما نقلوه من مناسبات للحكام كانت تُقام داخل قصورهم، ومنها مقطوعة عبد العزيز السوسي الذي حضر احتفال المأمون بن ذي النون بإعذار حفيده في قصر طليطلة فقال([1]): /الكامل/

لمّا بنيتَ من المكارمِ والعُلا ... ما جاوزَ الجوزاءَ في الإجلالِ
أعملْتَ رأيَكَ في بناءِ مُكرَّمٍ ... ما دارَ قَطُّ لآملٍ في بالِ
لو زارَهُ كِسرى أنوْ شِروانَ لم ... يصرفُ إلى الإيوانِ لَحْظَ مُبالِ
إعذارُ يحيى أبهجَ الدنيا وبيْـ ... ـيَنَ عذرَنا في نخوةِ المُختالِ
حشدَ السرورَ لنا طَهُرُ مُطهَّرٍ ... من عائرِ الجبناءِ والبخّالِ
عَرَضٌ من الآلامِ يجلبُ صِحَّةً ... وطفيفُ نَقصٍ فيه كلُّ كمالِ

ويسجل لنا الشعر مرة أخرى وثيقة اجتماعية مفادها أنّ الشعراء لا يشاركون فقط في الأفراح والمناسبات التي فيها شيء من الفرح بل إنّهم ايضاً يشاركون في الأحزان، فها هو الشاعر ابن خلصة يعزّي معزّ الدولة بعد فقده والدته ممّا جعل الحزن ينعكس على القصر بأكمله فقال([2]): /الخفيف/

بمَ والرُّزْءُ بالجليلِ جليْلُ ... يتأسّى الأسى ويُؤسى الغليلُ
أيّ عرشٍ للمجد ثُلَّ وغربٍ ... فُلَّ والدهرُ من شباهُ فليلُ
يا صَناع الصنائعِ الغرّ بِدعاً ... غالتِ المكرماتُ بعدك غولُ
أيّها اللحد هل علمتَ بما استو ... دعتَ كلا إنَّ الجمادَ جَهولُ
أنِسَ الشيمةَ الكريمةَ إنّ الدْ ... دارَ وحشٌ والمُكثُ مَكثٌ طويلُ
يا أبا عامرٍ عزاءً جميلاً ... فإليكم يُعزَى العزاءُ الجميلُ
وقُصارى بين القُصورِ قُبُورٌ ... ويهُبُّ الصَّبا بها والقبولُ

فالأبيات وثيقة اجتماعية يظهر من خلالها دور النساء في تسيير أمو البلاد السياسيّة، فهو يشير إلى أنّ عرشَ الحاكم قد أصابه شيء من التزلزل لفقده سيّدة القصر الكبيرة، ومن خلال هذا النص الذي يُعدّ وثيقةً اجتماعيةً تبيّن لنا عادات وتقاليد الفئة الحاكمة في عصر ملوك الطوائف.

5- البعد الصناعي:

لا شكّ في أنّ الغنى الذي عمّ عصر ملوك الطوائف كان له أثره على نواحي الحياة كلّها، فقد كان للصناعة نصيبٌ كبيرٌ في ذلك، فقد انتشرت الصناعات الكثيرة ولاسيّما تلك التي تخدم قصور الحكام وتقدّم لهم كل ما هو جميل في سبيل أن يزينوا به القصور التي كانوا يقطنونها، وقد انتشرت صناعات للتحف النادرة مثل: التماثيل والأواني والحليّ والأسلحة والشموع والنسيج وغيرها، فقد استطاع الشعر كونه وثيقة تاريخية أن يوثق لنا تلك الأدوات الحضارية التي

[1] - الذخيرة، ابن بسام، مج4، ب7، ص92.
[2] - الذخيرة، ابن بسام، مج3، ف5، ص245.

تفنّن فيها الأندلسيون فكانت الأشعار وثيقة صناعية أرّخت ما انتشر في عصر ملوك الطوائف من صناعات، ومن ذلك ما قاله ابن زيدون في وصف تمثالِ آدميٍّ وُضِعَ في حمّام قصر المعتضد بن عبّاد([1]): /الخفيف/

وسْطَها دميةٌ يروق اجتلاءُ الـ ... كلُّ منها ويفتنُ التبعيضُ[2]
بِشرٌ ناصعٌ وخدٌّ أسيلٌ ... ومُحيّا طَلْقٌ وَطَرْفٌ غضيضُ
وقَوَامٌ كما استقامَ قضيبُ الـ ... بانِ إذْ علّه ثراهُ الأريضُ
وابتسامٌ لو أنّها استغْربتْ فيـ ... ـهِ أراكَ اتّساقه الإغريضُ[3]

ولم تكن التماثيل للإنسان فقط بل تعدّاه ذلك إلى صنع تماثيل للحيوانات، فها هو الشاعر ابو العرب الصقلي يصف تمثالاً على هيئة جمل صنعه نحّاته من الفضة الخالصة وقد رُصّع بجواهر نادرة كان قد وضع في مجلس قصر المعتمد فقال([4]): /البسيط/

أعطني جملاً جَوناً شُغفْتُ به ... حَملاً من الفضة البيضاءِ لَو حُملا

ومن الشعراء من راح يصف مصنوعات أثاث القصور وهم في مجالس أنسهم، فها هو المعتمد بن عباد يصف كأساً كان بيده في مجلسه مشيراً إلى مادّة صنعه وهي الزجاج اللامع الشفاف فقال([5]): /الكامل/

جاءتْكَ ليلاً في ثيابِ نهارِ ... من نورها وغلالةِ البُلارِ
كالمشتري قد لفّ من مرّيخِهِ ... إذ لفّهُ في الماءِ جذوةَ نارِ
لطفَ الجمودُ لِذا وذا فتألّقا ... لم يلقَ ضِدٌّ ضدَّه بنِفارِ
يحيّر الراؤونَ في نقيهما ... أَ صَفاءُ ماءٍ أم صَفاءُ دَرَارِ؟

لقد وصفت الوثيقة الصناعية هنا مجلس أُنسٍ وعكست حياة الترف عند الملوك، كما أشارت إلى تلك الأواني التي كان يُتفنّن في صنعها.

ومن الأشاء التي وثّقها لنا الشعر صناعة الشموع التي كان يضيء بها الحكام قصورهم، فها هو المعتمد يصف شمعةً في مجلس أنسٍ له وهو يحتسي الخمر فيعقد مقارنة بين ضوء الشمعة وكرمه، فضوء الشمعة ينفي عن مجلسه ظلمة الليل، في حين تنفي يداه الفقر عن الناس فقال([6]): /السريع/

وشمعةٍ تنفي ظلامَ الدجى ... نفيَ يدي العدمَ عن الناسِ
قد جعل الرحمن من لطفهِ ... حياتها في القطعِ للرأسِ
ساهرتها والكأسُ يسعى بها ... مَنْ ريقُهُ أشهى من الكأسِ
ضياؤها لاشكّ من وجهِهِ ... وحرُّها من حرِّ أنفاسي

---

[1] – ديوان ابن زيدون، ص118.
[2] - التبعيض: التفريق، لسان العرب، ابن منظور، مادة: /بعضَ/.
[3] - الإغريض: كل أبيض مثل اللبن، ينظر نفسه، مادة: /غرضَ/.
[4] - ديوان الشاعر الصقلي، ص47.
[5] - ديوان المعتمد، ص80.
[6] - المصدر نفسه، ص77.

وها هو ابن حمديس يصف أيضاً شمعةً بدت وكأنّها فتاةٌ نحيلةٌ أحبّت الحياة على الرغم ممّا تعانيه من احتراق وهي على الرغم من صغرها وليونتها تستطيع أن تزيل ظلام الليل فتجعل النور وكأنّه ينبعث من كوكب فقال([1]): /المنسرح/

مُصغّرةُ الجسمِ وهي ناحلةٌ تستعذبُ العيشَ مع تعذُّبها

تطعنُ صدرَ الدجى بعاليةٍ صنوبريٍّ لسانُ كوكبها

نلاحظ من خلال ما سلف من أبيات أنّ الشعر الذي قيل في عصر ملوك الطوائف في قصور الملوك قد واكب مظاهر الحياة المختلفة ووثّق لكثيرٍ من مجالات الحياة /التاريخيّة، الأدبية، العمرانيّة، الاجتماعية، والصناعية/ فأعطى تفصيلاً دقيقاً عنها ساعد كثيراً ممّن جاء حديثاً على فهم معالم تلك العصور بصورة واضحةٍ، وإنْ لم يكن يقصد الشعراء في كثيرٍ من أشعارهم ذلك التوثيق إلّا أنّ أشعارهم نجحت في أن تكون رديفاً للتاريخ في توثيق وفهم الحياة في عصر ملوك الطوائف بجوانبها المختلفة.

الاستنتاجات والتوصيات:

لقد سعى البحث إلى تسليط الضوء على الشعر في عصر ملوك الطوائف وما كان له من دورٍ في التوثيق لذلك العصر على اختلاف أبعاده، وتمكن البحث من الوصول إلى النتائج الآتية:

1- استطاع الشعر نقل الحياة السياسية بأحداثها وتفاصيلها وطريقة الحكم في عصر ملوك الطوائف.

2- كشفت تلك الأشعارُ الحالةَ الاجتماعيةَ التي فرضتها حياة ملوك الطوائف المترعة بالغنى واللهو ومجالس الأنس.

3- تطوّر الحياة الصناعية في عصر ملوك الطوائف وهذا ما تبدّى من طريقة العمران والمبالغة في الزخرفات والقبب والأشكال الهندسية التي امتلأت منها قصور الحكام.

4- الشعر كان ومازال وسيبقى وثيقةً تستحق أن تكون رديفاً قوياً للتاريخ، وإن كانت في أغلب الأحيان ترصد أشياء وتفاصيل لربما غابت عنها عين المؤرّخ.

5- كانت حياة ملوك الطوائف حياةً حملت التناقض بين طريقة العيش من جهة وما حملته من أهداف في النتائج من جهةٍ أخرى، فظاهرها لهوٌ ومجونٌ ومؤدّاها علمٌ وثقافةٌ وعمران.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المقري، اللجنة المشتركة لنشر التراث بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، الرباط، 1978م.

[1] - ديوان ابن حمديس، ص541.

- بدائع البدائه، الأزدي، ضبطه وصححه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت– لبنان، 2007م.
- البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر /عصر ملوك الطوائف/، سعد إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، القاهرة.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار ثقافة، بيروت، ط3، 1983.
- الحلة السيراء، ابن الأبار، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1985.
- خريدة القصر وجريدة العصر، الأصفهاني، تحقيق: عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، دار الكتب المصرية، مصر، 1964م.
- ديوان ابن الحداد، أبو عبدالله محمد بن أحمد القيسي، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1990م.
- ديوان ابن اللبانة، تحقيق: منجد مصطفى بهجت، دار التجديد، ط2، ماليزيا، 2006.
- ديوان ابن حمديس، عبد الجبار أبو بكر محمد الأزدي، صححه وقدّم له: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1960م.
- ديوان ابن خفاجة، دار صادر، بيروت. دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة،1990م.
- ديوان ابن زيدون، حياته، غرامه، فنونه، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت.
- ديوان الشعر الصقلي، تحقيق: فوزي عيسى، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 2007م.
- ديوان المعتمد بن عباد، المعتمد بن عباد، جمع وتحقيق: رضا الحبيب الوسي، الدار التونسية، 1975م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، عام2000م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، شرحه وعلّق عيه: نبيل خالد الخطيب، دار الفكر، مصر، 2006م.
- صدى سقوط غرناطة في الشعر الأندلسي، جمعة شيخة، مجلة دراسات أندلسية، ع7، عام1992م.
- فن الرقوش في الشعر الأندلسي، إيمان الجمل، ديوان صادر، بيروت.
- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ابن خاقان، تحقق: حسين يوسف خريوش ،مكتبة المنار، ط1، الزرقاء، الأردن، 1989م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت– لبنان.
- لمح السحر من روح الشعر، ابن ليون التجيبي الأندلسي، تحقيق: سعيد بن الأحرش، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2005م.
- مذكرات الأمير عبدالله، ابن بلقين، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1955م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت– لبنان، ط1، 1968م.